

حجاجية الخطاب الشعري عند محمود درويش - قصيدة عاشق من فلسطين أنموذجاً -

The Argumentative Dimension of Poetic Discourse in Mahmoud Darwish: "A Lover from Palestine" as a Case Study

سامية بن يامنة¹جامعة وهران 1 أحمد بن بلة benyamnasamia@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2026/10/14

تاريخ القبول: 2026/05/14

تاريخ الاستلام: 2026/03/02

ملخص:

استحوذت دراسة الخطاب الشعري، في إطار المقاربات التداولية الحجاجية، أهمية بالغة في الحقل الدراسات اللغوية المعاصرة، مما فتح آفاقاً رحبة للتأويل، تجاوزت حدود القراءة الجمالية التقليدية، فانفتحت على استكناه الوظائف التداولية والتأثيرية التي يضطلع بها الخطاب الشعري. فالشعر، وفق هذا المنظور، لا يُختزل في كونه بنيةً لغويةً تعبيريةً جماليةً مغلقة، قائمة على الانزياح والخيال فحسب؛ بل يُغدو خطاباً تواصلياً موجّهاً، ينهض على استراتيجيات إبلاغية وحجاجية خاصة، تستهدف التأثير في المتلقي، وإقناعه وتوجيه مواقفه.

وتبرز أهمية الخطاب الشعري في رحاب هذه المقاربات في كونه مجالاً خصباً لتجلي الأفعال الكلامية بأصنافها المتنوعة، حيث يتوسل الشاعر من خلالها بناء خطاب حجاجي، يُشرك المتلقي في إنتاج الدلالة واستنباط المقاصد. ومن ثمّ، يتحوّل هذا المتلقي من عنصرٍ متلقٍ سلبي، إلى فاعلٍ تأويلي يُسهم في تحقيق المقصدية الخطابية.

ويعد شعر محمود درويش من النماذج الشعرية التي تتمظهر فيها حجاجية الخطاب؛ إذ نلفيه يوظف جملة من الآليات الحجاجية البلاغية في شعره الثوري عبر تراتبية من المعاني الضمنية التي يسعى فيها إلى استمالة المتلقي، وإقناعه بحقيقة الانتماء والحرية.

كلمات مفتاحية: الخطاب الشعري، الحجاج، الفعل الكلامي.

Abstract:

Study of poetic discourse within pragmatic and argumentative approaches has gained significant importance in contemporary linguistics, as it expands

¹ - بن يامنة سامية benyamnasamia@yahoo.fr

interpretive perspectives beyond traditional aesthetic reading toward the exploration of the pragmatic and persuasive functions of poetry. From this viewpoint, poetry is no longer seen as a closed aesthetic structure based on imagination and deviation, but rather as a directed communicative discourse that employs argumentative strategies aimed at influencing and persuading the recipient.

Its importance lies in its capacity to reveal various speech acts through which the poet constructs an indirect argumentative discourse, engaging the reader in meaning-making and inference, thus transforming them from a passive receiver into an active interpretive participant.

The poetry of Mahmoud Darwish is a clear example of this argumentative dimension, as it employs rhetorical and argumentative devices within a structured hierarchy of implicit meanings to persuade the reader of ideas related to belonging and freedom.

Keywords: Poetic discourse. Argumentation. Speech act.

1. مقدمة:

يقوم الخطاب الشعري الحجاجي على عملية فرض الجملة من المعطيات والنتائج الموجهة "تراتبيا" بصفة مضبوطة، فلا تترك للمتلقي أي خيار في خيارات أخرى؛ بل هو مطالب بالاقتران بصحة ما توصل إليه بفعل القراءة أو التأويل، انطلاقاً من آليات منطقية دلالية، تعكس المقصد الناتج عن الوضعية السياقية للكلام ككل¹. كما أنّ هذه النتيجة المضمنة في الملفوظ أكثر أثراً في المتلقي منها إذا كانت مباشرة لشعوره العميق؛ لأن استنباطها من طرفه يعني أنّها من بنات فكره، فهو إذن مطالب بقبولها بدافع نفسي. ثم إنّ القارئ بعد فراغه من تلقي الخطاب الشعري أو النثري، يجد نفسه مقتنعا بما قد يطرحه صاحبه، وهذا ما يجعلنا نتساءل كيف يبين الخطاب الشعري شكله الحجاجي؟ وبأيّ آليات لغوية وتداولية يحقق مقصديته؟ وخصوصاً في القصائد ذات الطابع الثوري؟

انبت قصيدة "عاشق من فلسطين" لشاعر الثورة الفلسطينية محمود درويش "على قوى حجاجية متنوّعة، تراوحت بين الحجاج بالقيم في علاقة وجودية، تُثمّ بالحب العميق للوطن والذّات، والحجاج اللّغوي والبلاغي الذي يروم من خلاله الشاعر خلق فضاء إقناعي، يعكس ثقافة المقاومة والتّشبّث بالأرض والقضية الفلسطينية إلى آخر نفس، رغم الألم والتضحيات الجبّارة. تشكّل هذه القوى نسقا صريحاً، يتأسّس على توجيه المتلقي، وإذعانه بفكرة جوهرية؛ مفادها أنّ فلسطين باقية بأهلها ومناضليها شامخة، ولن تنحني أو تنكسر.

2. حول الخطاب الشعري وخصوصياته:

يتأسس الخطاب الأدبي من المنظور الحجاجي والتّداولي على أنساق خاصة، تُغذيها معطيات لغوية وسياقية وثقافية متعدّدة، نستطيع الكشف عن ذلك بالتركيز على ما يلي:

(أ) - لغته غير العادية؛ وتسمى "اللغة الأدبية"، وأدبية اللغة ههنا تتمظهر من خلال تجاوز استعمالها المألوفة إلى توظيفات أخرى قائمة على الجزالة والتّلميح والبراعة في التصوير، والقوّة في التعبير، مما قد يحقّق - كما يسميه "بارت" Barth بـ "لذة النص". ويجب أن نشير ههنا إلى أنّه إذا كانت التداولية قد اهتمت في بداية ظهورها باللغة العادية، فإنّها سرعان ما طالت "اللغة الأدبية". ومن هنا تظهر الخصوصية التي تطبع الخطاب الشعري باعتباره بناءً لغويًا، يتعدّى المألوف في الاستعمالات العادية، ولكنّه يبقى دائماً في حدود قوانين اللغة.

(ب) - تنوّع عمليات الربط في الخطاب الشعري من مستوى خطابي ما إلى مستوى آخر، تضبط هذا التنوّع المعطيات الإبداعية والجمالية التي يبتغيها الشاعر.

(ج) - طبيعة العلاقة بين أركان العملية التواصلية: ومن الضروري ههنا أن نشير إلى المسألة التداولية للعلاقة في الاتصال الشعري؛ إذ تقوم على سمات خاصة. ولا بد هنا أن نركز على مسألتين أساسيتين:

- الأولى: تتعلّق بالبعد التعبيري الذي تتمظهر من خلاله القصيدة.
- الثانية: ترتبط بالقيمة التي قد يحصل عليها كل من "الأنا" الناضجة للشعر، و"الأنت" المتلقية له، وتضم أصناف المتلقين له في مختلف السياقات الشعرية؛ وتشمل ههنا اللائحة الاتصالية

للمشاركين المبسوطين في القصيدة سواء أكانت مضبوطة، أم مشارًا إليها بمؤشرات ضمنية أو غير ذلك. تسهم هذه العلاقات بصفة فعالة في ضبط الأدوار والمسافات التي تكون بين أطراف الاتصال التي يبنى عليها الخطاب الشعري.

وقد أشار "إيوري ليفين Luri Levin" إلى «أن طابع الذاتية (الأنا) في الشعر الغنائي يؤدي إلى قيام اتصال "مباشر" بين القارئ والمؤلف الضمني والشخصيات الظاهرة، ويتم ذلك من خلال التعميم وملاءمة الأدوار التي تسمح للقارئ بعرض وضعية القصيدة على خبرته الشخصية أو المتخيلة التي هي مناط حلمه أو رغبته»². وتفاعل هذه الأدوار في القصيدة تسهم كما يرى "سيرل Searle" في إضفاء صفة التخاطبية على القصيدة.

والأمر نفسه يحدث مع ال «أنت» الشعرية التي تملك أحيانا مؤشرات تخاطبية مباشرة في القصيدة نفسها، وقد تتسع لتشمل القارئ في حد ذاته، ويذكر ههنا "لاناووكايرتر" «أن القوة البيانية لقصيدة ما هي دائما دعوة القارئ لكي يحمل الرسالة على أنها خاصة به. وهذه العلاقة الذرائعية تبدو لي أساسية. وبهذا فقط يفسر بروز دور القارئ في الاتصال الشعري الغنائي»³.

3. ماهية الخطاب الشعري:

تعددت تعاريف الخطاب وتنوعت كونه نشاطا لغويا ذا بُعد تفاعلي تخاطبي في الآن نفسه، فهو بنية لغوية أدبية خاصة، تتميز عن بقية الأجناس. يُنتجها المتكلم/الشاعر، ويعيد المتلقي إنتاجه في عملية مشتركة، تتجاوز -من المنظور التداولي- حدود الاستهلاك السلبي القائم على التلقي المَحايث الذي راهنت عليه البنيوية، ولا تتضمن هذه المشاركة قطيعة بين القراءة؛ وإنما تعني اندماجهما في عملية دلالية واحدة، ف"ممارسة القراءة إسهام في التأليف"⁴.

وقد بسط محمد مفتاح في مصنفه "تحليل الخطاب الشعري-استراتيجية التناص"⁵، مجموعة من التعاريف للخطاب الشعري، والتي تنضوي خصيصة "التواصل والتفاعل"، مما يعكس وجهة نظر خاصة، تعود إلى المرجعيات الفكرية، والتراكيمات المعرفية التي ينطلق منها المخاطب، والخصوصيات الاجتماعية والنفسية والحضارية التي تميزه عن غيره، ويبسطها في الخطاب. ومن هذا كله خلص "محمد مفتاح" في الأخير على أنه "مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة"⁶. ولعل هذه

الوظائف هي التي تجعله يتعدّد ويتنوع من جهة، ويفتح على إجراءات تحليلية مختلفة من جهة أخرى.

4. الخطاب الحجاجي:

الخطاب الحجاجي من بين الخطابات التي تحتاج إلى العناية، إذ يعد من أهم القضايا التي تناولتها الدراسات الموروثة، ولهذا يغدو امتدادًا للموروث البلاغي؛ فهو حقل دراسي جديد، تمّ استثماره في دراسة النصوص الأجنبية، بينما تفتقد الدراسات العربية لهذا النوع من البحوث بالرغم من تنوع نصوصها.

والهدف من الخطابات الحجاجية هو الإقناع وحمل المخاطب على الاعتقاد بالرأي والتأثير عليه، بتقديم الأدلة والبراهين المختلفة؛ لأنّ أساس التخاطب اللغوي يكمن في قدرة الناس على مناقشة الحجج التي تقف وراء أفعالهم وأفعالهم، فصاحب الخطاب الحجاجي يستعمل روابط شتى لإقناع سامعيه. معتمدا على البرهنة "التي تنطلق من استراتيجية منطقية، تُوظفُ فيها عمليات عقلية خاصة، ينتقل بها الفكر من قضية إلى أخرى، بتوظيف آليات محدّدة؛ كالاستقراء والقياس، والاستدلال. وهذا ما أقره طه عبد الرحمن بقوله: "كلما وقفنا على لفظ الخطاب سبقت إلى أفهامنا دلالاته على معنى التعامل... ومن شأن هذا التعامل أن ينشئ علاقة تخاطبية تكون وظيفتها التواصل؛ لكن ماهية الخطاب لسيت مجرد إقامة علاقة خطابية مع الغير فحسب، وإنما هي الدخول معه فيها على مقتضى الادّعاء والاعتراض؛ بمعنى أنّ الذي يُحدّد ماهية الخطاب إنّما هو العلاقة الاستدلالية، وليس العلاقة التخاطبية وحدها، فلا خطاب بغير حجاج"⁷.

نستنتج من هذا القول أنّ "طه عبد الرحمن" يقرّ صراحة بحجاجية الخطاب مهما كان نوعه وغطه، كون الخطاب في حد ذاته يهدف إلى تبليغ الأفكار وإيضاحها للمتلقّي، والوصول إلى تغيير وجهات النظر، وتحقيق الإقناع باستعمال تقنيات إقناعية حجاجية متعدّدة، ليضحي الحجاج نظام في لغة الخطاب، وهذا "النظام ليس في جوهره إلّا بناءً فكريا، يحمل وجهة نظر، وقد تمت صياغته في بناء استدلالي أي بشكل مقدمات ونتائج"⁸.

1.4 مميزات الخطاب الحجاجي:

يختصّ الخطاب الحجاجي عن غيره من الخطابات بسمات خاصة، وهذا إذا ما قارناه مع غيره، مثل الخطابات اللغوية العلمية، أو الوصفية على سبيل المثال، لذا نجد "الدراسات التي تدور حول الخطاب الحجاجي قليلة جدًا، ممّا يبعث الحذر لدى الباحثين من الخوض في غماره، لأنّ بنية النصوص قد تبدو أقل وضوحاً"⁹. بيد أنّ جلّ هذه التحقّظات لم تحل دون البحث عن الخصائص المميزة لهذا النوع، بعد أن لوحظت الأهمية المتزايدة التي أصبح يُحظى بها في حياتنا المعاصرة.

ولقد جمع "بنوار ونو" سمات الخطاب الحجاجي في النقاط التالية¹⁰:

(أ) - **القصد المعلن**: إنّّه البحث عن إحداث أثر ما في المتلقي أي إقناعه بفكرة معيّنة، وهو ما عبر عنه رومان جاكسون بالوظيفة الإيحائية.

(ب) - **التناغم**: فالخطاب الحجاجي يقوم على منطق ما في كلّ مراحل وبنياته، ويوظف على نحو دقيق التسلسل.

(ج) - **الاستدلال**: وهو سياقه العقلي؛ أي تطوّره المنطقي في بنياته اللغوية، ذلك أنّ النّص الحجاجي نصّ قائم على البرهنة، فيكون بناؤه على نظام معيّن، تترابط فيه العناصر وفق نسق تفاعلي، وتهدف جميعها إلى غاية مشتركة.

5. الهيكل العام لقصيدة "عاشق من فلسطين" لمحمود درويش:

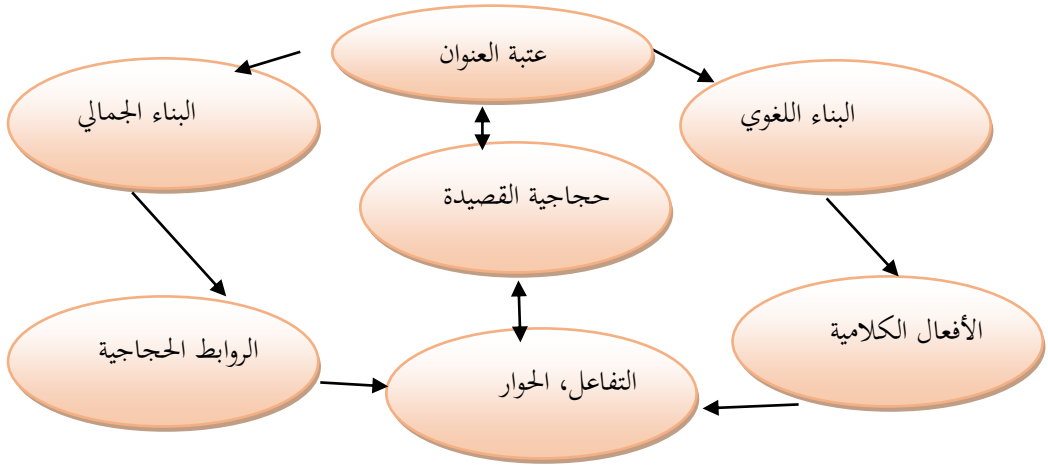
تنبثق من قصيدة: "عاشق من فلسطين"¹¹ قوى حجاجية خاصة، من بدايتها إلى منتهائها؛ تتراوح في رمزيّتها بين الاستشارة العيون، والتحفيز بالشوكة، والتماهي بالقلب، بما يشرك المتلقي، في مقاصدها وغاياتها. وهذا يظهر جليّاً في قول الشاعر الفدّ محمود درويش¹²:

عيونك شوكة في القلب

تُوجّعني.. أعبدها

وأحميها.. من الرّيح.

ويمكن توضيح البنية التخاطبية الحجاجية لهذه القصيدة أكثر في المخطّط التالي:



فالقصيدة تبدو من خلال عتبة العنوان قصيدة حبّ، إذ كان مطلعها غزلياً؛ لكنّه حبّ خاصّ، إنّهُ العشق الكبير للوطن. وقد ظلّ هذا الحب مرهوناً بشائيات: "المنفى والعودة" و"الألم واليأس"، ومتوهّجاً بالرغبة الجارحة والمتأصلة للمقاومة لحماية هذا الوطن والدفاع عنه من جيروت المستبدّ والمقتلع لهذا الحبّ الذي رمز إليه بلفظة الرّياح. ولذلك ظلّ الشّاعر يعزّز روح المقاومة، كي تضفي نورا له وللشعب الفلسطيني، ليستشرف به العودة للعيش بالوطن الأم. وهذا ما ترجمه درويش صراحة في هذه القصيدة بعبارات مشحونة بألم المهجر، وبالحبّ والشوق. وكل هذه التنويعات أخذت القارئ إلى عوالم الجمال البياني؛ ذلك أنّ العرب قديماً لا ينحون منحى إلّا وهم يحاولون به جهة من الجهات. ثمّ إنّ لطف الأسلوب ورقته يخيّلان لك أنّ قائله عائق، و"خشونة الأسلوب وجفأؤه لا يخيّلان ذلك نحو أسلوب الفرزدق في النسيب"¹³. وقد شكّل كلّ ذلك نسقا حجاجيا أشرك المتلقّي في الغاية التي يبتغيها الشّاعر؛ وهي حبّ الوطن، والدّفاع عنه.

ويواصل في هذه الغاية، حيث يتمثّل الوطن في صورة المرأة التي يفتن بها حبيبها لدرجة عشق صفاتها وملاحمها جسدها، ويظهر جلياً في قوله¹⁴:

فلسطينيّة المنديل والقدمين والجسم..

فلسطينيّة الكلام والصمت،

فلسطينيّة الصوت،

فلسطينيَّةُ الميلاد والموت.

اعتمد الشّاعر من خلال هذه الأبيات التّرميز لفلسطين بالمرأة، لكن المرأة بالسّمات الفلسطينية الأصلية فيها، وقد "مزجه بين الرومانسية الغنائية، والتّبشير الثّوري وسلاسة خياراته الموسيقية والايقاعية وحرارة قاموسه اللغوي، وميله إجمالاً إلى الصورة الحسية بدل الذهنية"¹⁵. وهو من كل هذا يستمد ألفاظه وعباراته التي تحمل في جوهرها قوى حجاجية سوف نستعرضها من خلال ما يلي:

1.5 دلالة العنوان:

يعتبر العنوان في نظريات النص الحديثة والمعاصرة عتبة قرائية خاصة، إذ يمثّل عنصراً من العناصر الموازية التي تسهم في تلقي النصوص، وفهمها وتأويلها داخل فعل قرائي شمولي، وكذا الوصول إلى مكان الحجاج فيه، كما يمكن وصفه بسلطة النص "التي يؤثّر على معنى ما، فضلاً عن كونه وسيلة للكشف عن طبيعة النص والمساهمة في فك غموضه"¹⁶، كما أنّه يحدّد هوية صاحبه، كما قد يغري المتلقّي لتلقّفه، والتأثّر به. وهذا ما نلمسه في عنوان قصيدة "عاشق من فلسطين"؛ فقد يتبدى للمتلقّي منذ الوهلة الأولى أنّها قصيدة في موضوع "الحب"، من منطلق أنّ من دلالات العشق الحبّ العميق، المبني على اللوعة والحرقة، والشّغف للآخر.

بيد أنّها تخفي في رحمها ولعاً وألماً، عبّر عنه الشّاعر في مطبع قصيدته حينما قال: "عيونك شوكة في القلب"؛ فلفظة "شوكة" مؤثّر لفظي يوحى بمدى حرقة وألم الشاعر. ثم يبعث محمود درويش مؤثراً آخر يزيد من التوتّر والتأثير معاً في المتلقّي، وهو "القلب"، باعتباره مكن الشّوق. ثم هناك مؤثّر الانتظار؛ فماذا فعل للشّوكة؟ وكردّة فعل بدل نزعها، يعود ويطرح لفظة "أعبدّها"، والتي كرّرها مراراً في القصيدة، ضمن ثنائيات متوتّرة، تكشف عن عمق الحب لوطنه فلسطين.

فالتكرار ههنا قوة إقناعية يهدف الشّاعر من خلالها إلى ترسيخ المعنى في ذهن المتلقّي؛ إذ "يدخل ضمن عملية البناء أو الكلام، الذي يسمح للمبدع بتوليد بنيات لغوية جديدة باعتباره أحد ميكانيزمات عملية إنتاج الكلام وهو أيضاً التكرار الذي يضمن انسجام النص وتوالده وتناميّه"¹⁶.

2.5 حجاجية الأساليب اللغوية في قصيدة "عيونك شوكة في القلب":

استهل محمود درويش قصيدته بعبارات تعكس مدى تعلّقه بوطنه، من مثل: "عيونك شوكة في القلب"، و"توجعني"، و"أعبدتها"، وهي بنيات لغوية ترتبط بحقل دلالي واحد، وهو الحب للوطن، انبنت على انتقاء أسلوب دون آخر، مما يكسبها قوى حجاجية خاصة. ثم إن الشاعر قد اختار "شوكة" ليشبه العيون، و"توجعني" بدل "تعجبني". وهكذا تتوالى العبارات وتتوزع لتخدم أغراضا حجاجية خاصة. ولها أثر عميق في ذات المتلقي؛ إذ تكشف عن البعد الروحاني في الحب الذي يلامس العشق الصوفي المترفع، والذي يسمو عن المادة وغيرها.

كما نجد الشاعر يسعى لإقامة علاقات حجاجية غير متوقعة، ظهرت في قوالب شتى منها: "توجعني، أعبدتها"، (توجعني، أحميها)، (جرحها ضوء مصابيح)، وغيرها.

3.5 مؤشرات الفهم الحجاجية:

تحمل القصيدة بنيات عميقة متباينة أحيانا، ومتشاكلة أحيانا أخرى، وكلّها تتلخص بانتهاء العاشق في التوحد مع معشوقه، وأصبح الشاعر مع فلسطين كيانا واحدا، بعدما استحضر مجموعة من الحجج والبراهين، كأسطورة "نرسيس"، بعبارته و"انكسرت مرايانا".

كما وظّف عبارات خطابية بلاغية قائمة على الصورة؛ منها "كلامك الذي يشبه السنونو الذي يُغرد"، وقد حاول درويش التّغريد بكلماته كي ينتفض من المستبد الصهيوني. واستدعى طائر "السنونو"؛ وهو طائر يهاجر كثيرا، ويعشق الأماكن الدافئة، وهو يرمز في بعده الحجاجي إلى فقدان الوطن ودفعه حينما يتغلغل اليأس في الأعماق. فيتحسر أكثر بحسرة الشّعور بأنّه لاجئ. وربط كلّ هذا بما يسمى في فلسطين بالعتبة الخريفية التي يتم فيها تهجير الفلسطينيين بكثرة.

كما نلفي الشاعر قد استند أيضا على الأساطير مثل "أساطير البعث"، و"تموز وعشتار"، ليبرهن على فكرة جوهريّة، وهي الدعوة إلى الموت الذي يبعث الحياة، وكأنّها أرض ميتة تنتظر من يحييها، في قوله¹⁷:

كلامك كالسنونو، طار من بيتي
فهاجر باب منزلنا، وعتبتنا الخريفية.
وأنت حديقتي العذراء...

4.5 مؤشرات الحوار والحجاج:

يعتبر الحوار من أهم أشكال التفاعل اللفظي، كما أنه المجال الطبيعي الذي يتحقق فيه الحجاج. والحوار الطاعني في هذه القصيدة هو الحوار المضمر، والذي أكسب القصيدة قوة حجاجية عالية. فالشاعر يخاطب متلقيًا كونيا، يدعوه لأن يحبّ وطنه، ويخلص له بصدق ومحبة كما يعشق محبوبته. لذا فالقصيدة تتأسس على هذا التفاعل الحوارى الذاتى ذى البعد الحجاجى. وقد تجسّد في القصيدة ضمن أساليب تعبيرية عديدة، تسري في دلالات قوامها التبصر؛ إذ يقول:

أحب البرتقال...وأكره الميناء

محطمة، رأيتك في مقاهي الليل خادمة،

سأكتب جملة، أغلى من الشهداء والقبل

فتحت الباب والشباك في ليل الأعاصير

فمثلا نجده يختار كلمة الميناء للدلالة على السفر، وهي طاقة لغوية ويكررها حب فلسطين وكرهية الرحيل عنها.

5.5 الأفعال الكلامية في القصيدة:

يقوم الخطاب الشعري في ظلّ الطرح التداولي على توالي مجموعة من الأفعال الكلامية المنسجمة والمتلاحقة بما يخدم الوظيفة الكلية، مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل معطيات السياق التداولي؛ أي مجمل العلاقات الثقافية والاجتماعية والنفسية التي تسهم بدورها في تحقيق هذه الوظيفة، فتحدث ههنا حوارية بين "الخطاب" وعالمه المعبر عنه ضمن إنجازية معيّنة. والحديث ههنا عن الإطار التداولي للقصيدة من خلال أفعال الكلام، هو في جوهره كلام عن إنجازية هذه الأفعال، انطلاقا من الشروط التي تضمن النجاح لهذه الأفعال. ويجب أن نشير ههنا إلى أنّ أي كلام يصدر عن شاعر في موقف معين إنما يصدر ضمن معطيات سياقية تؤطر ذلك، فيحقق الفعل الإنجازي المقصود.

وقد وظف محمود درويش الكثير من الأفعال الإنجازية التقريرية، تماشياً مع الغرض الكلي للقصيدة، فأفعاله الكلامية كانت في مجملها أفعالا إنجازية إلزامية، رام من خلالها التأثير على المتلقي وحمله الحب للوطن، والوفاء لفلسطين؛ باعتبارها أصله، وكيנותه وحياته وموته. فمن أفعاله القولية: "رأيتك" التي تكررت في عدّة مقاطع؛ منها قوله:¹⁸

رأيتك في شعاع الدمع والجرح..
رأيتك في أغاني اليتيم والبؤس،
رأيتك في المواقف، في الشوارع
رأيتك في خوابي الماء والقمح.

6.5 الروابط الحجاجية:

تعددت الروابط الحجاجية في هذه القصيدة، وكان في مقدمتها التكرار الذي أسهم بشكل دقيق في جعل القصيدة منسجمة مع بعدها البلاغي. كما سمح لها بتوليد مقاصد إبلاغية جديدة، فقد تكررت ألفاظ بعينها منها: رأيتك، الميناء، أنت، خذيني، فلسطينية، وغيرها، كما تكررت مقاطع من شعره، منها قوله:¹⁹

رأيتك أمس في الميناء مسافرة
رأيتك في جبال الشوط واعية
رأيتك في مقاعي الليل خادمة.
أنا زين الشباب، وفارس الفرسان
أنا، ومحطم الأوتان
حدود الشام أزرعها،
بالإضافة للوصل والفصل، وللعطف، بالمثل، لأنّ وغيرها.
فمثلاً ثم تكرر ضمير الأنا والانت في قوله:
أنت الماء أنت النار
أنت حديقتي العذراء

أنت وفية كالقمح.

فقد تحققت البنية الحجاجية بتكرار مجموعة من الألفاظ والتراكيب، والتي أعطت في جوهرها ع
مقا تعبيريا قويا، لأن الشاعر في مقام تصوير حالته النفسية المتوترة والمتألمة جراء بعده عن الأرض.

7.5 السلام الحجاجية:

قد عرفها طه عبد الرحمن بأنها "مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية مؤفوية
بشرطين هما: ²⁰

(أ)- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته بحيث تلزم عن القول الموجود في
الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

(ب)- كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين، كأنما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه.
وقد فصل فيه كثيرا ديكرود Ducrot بتوظيفه لفظة "plus Que" باستعماله ثلاثية
مثلا بين الفعل: ألزم، وأوصى، وسمح. حيث سيقارن بينها ويجعل بينها علاقة: أشد من،
وكيفية تحديد هذه العلاقة هو الذي يُشكل هذه السلام ²¹
ويمكن توضيح هذه الأمثلة عموديا بالشكل التالي:



ألزم.

نصح.

شبه نصح

سمح.

نستشف من خلال هذا النموذج ذلك التدرج للوصول الى المعنى الجوهرى، الذي يتمظهر في
شكل فعل حجاجي وبهذا المفهوم وضع العزاوي ذلك بقوله: "إذا يُمكن إنشاء فعل حجاجي، فإنَّ
القيمة الحجاجية لهذا القول يتم تحديدها بواسطة الاتجاه الحجاجي، وهذا الأخير قد يكون صريحا أو
مضمرا." ²¹

قد تعددت السلام الحجاجية في قصيدة "عاشق من فلسطين"، إذ ارتبطت بحس الشاعر وملكته الشعرية والحجاجية؛ منها:



التوحد مع الوطن.

التمسك وإشعال للمصاييح

الغربة البعد الوحشة

التجربة العشقية (الوجع، العبادة، الحماية،

فشكلت هذه البنيات الحجاجية طاقة حجاجية متفاوتة من حيث القوة والضعف أو كما وضحها ديكرو أشد من. فمن الوجع والألم إلى الغربة والوحشة، إلى التمسك بالأمل وصولاً إلى النتيجة حب الوطن فوق كل اعتبار كإحساس قوي.

وقد تعكس هذه القوي الحجاجية درجة الانفعال والتأثير على المتلقي، وتقاسم معه الوجع والحلم في بعث الحياة وإنعاش الأمل الأبدي في الانعتاق والحرية، بتخفيف هذا الوجع بالتأمل في الوطن ووجوديته الكيانية في كل قلب يعشق فلسطين الأبيّة. إذ يقول الشاعر بكل عز وافتخار:



فلسطينية العينين والوشم.

فلسطينية الاسم.

فلسطينية الأحلام والهلم.

فلسطينية المنديل والقدمين والجسم فلسطينية الكلمات والصمت.

فلسطينية الصوت،

فلسطينية الميلاد والموت.

6. خاتمة:

بعد هذه الرحلة الماتعة في قصيدة محمود درويش "عاشق من فلسطين"، والتي كانت مشحونة بقوى حجاجية، سمت بحب الوطن، وتوهجت بنور الأمل والتقاؤل بالرجوع إلى حضنه والاحتفال بالانتصار الموعود، نخلص إلى النتائج التالية:

- لا يخلو الخطاب الشعري الثوري من البعد الحجاجي؛ بل يُبنى في جوهره وفق استراتيجيات حجاجية إقناعية صريحة أو ضمنية، تتوسل اللغة بوصفها أداة إمتاعية وتوجيهية وتأثيرية.
- لم يعد التكرار في الخطاب الشعري مجرد زخرفة لغوية فحسب، بل يغدو أداة حجاجية لتعزيز قيم وأبعاد مقاصدية محددة.
- قد تفتح الدراسة الحجاجية آفاقا واسعة لتحليل الخطاب الشعري، خصوصا وأنّ لغة الحجاج تترسخ فيها الظاهرة الحوارية على الصعيدين الفكري والتوصلي، والتي قد تُفَعِّل في القارئ روح الحوار والاستدلال. خصوصا في الخطاب الثوري الذي يعزز حقيقة الانتماء إلى الأرض المقدسة.
- تتجسد إنجازية الخطاب الشعري انطلاقا من الأفعال الكلامية وأبنيتها المتراكمة في القصيدة ككل، والتي قد تشكل نسيجا مُوحّدا، يعكس حجاجيتها وطاقتها الإبداعية والتواصلية، والتي تتسامى إلى روح المتلقي، وتجعله يدعن بكل مقاصدها للقوة الإنجازية المهيمنة التي يبتغيها المخاطب.
- استطاع محمود درويش كعادته بحسه المرفه من جهة، ومنطقه العقلي من جهة أخرى أن يأخذنا إلى عوالم عشق الوطن في قالب شعري ساحر، ويقنعنا بضرورة الانغماس والتشبث بالقضية الفلسطينية. فقد رفع راية الأمل والتّحدّي للظّفَر، بحرية التعبير عمّا يختلج كل متألم نائر، تكبد ألم الهجرة من وطنه، وناضل من أجل حلم الرجوع إليه، واستشرف العودة إليه، والعيش فيه مكروما معززا، ونيل السعادة اللامتناهية.

7. الهوامش:

1-voir Roger Autier recherches experimentales americaines sur la communication persuasive, in l'argumentation, p203-218.

2- السابق، ص242.

3-د سعيد بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاجراءات، الشركة المصرية العالمية للنشر ط 1، 1997، ص113،

4--ينظر محمد مفتاح-تحليل الخطاب الشعري-استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط: 2، 1999، ص 89.

5-ينظر المرجع نفسه، ص120.

6--طه عبد الرحمان، اللسان والميزان والتكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الرباط المغرب، الطبعة 01، 1998، ص225-226.

7-ينظر عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2014، ص121.

8-محمد البرهمي، ديداكتيك النصوص القرائية، النظرية والتطبيق، دار الثقافة، 1998، ص108،

- 9- ينظر بنو رونو، النص الحجاجي، ص17.
- 11-- نشرت هذه القصيدة ضمن ديوان عاشق من فلسطين التي أصدرها سنة 1966م.
- 12- محمود درويش ديوان عاشق من فلسطين، ط1، دار العودة بيروت، 1994، ص77.
- 13- حازم القرطاجي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1981م، ص364.
- 14- محمود درويش، ديوان عاشق من فلسطين. ص75.
- 15- شهادات لمجموعة من الكتاب، محمود درويش المختلف الحقيقي، مجلة بيت الشعراء فلسطين، عدد خاص مزدوج ربيع وصيف 1999 ص 49.
- 16- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ط2006، 1، ص48.
- 17 -شعيب حليفي، هوية العلامات وبناء التأويل، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2004، ص09.
- 17- محمود درويش، ديوان عاشق من فلسطين ص 77.
- 18- المرجع نفسه ص43، 42،
- 19- المرجع نفسه ص75.
- 20- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان العقلي المركز الثقافي العربي، المغرب، الدار البيضاء، ط2، ص277.
- 21- Voir.C. Anscombe et Ducrot. L'argumentation dans la Langue. Philosophe et l'angue. p54
- 21- أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ص6.